أهـداف الجـهــاد

* * * * * * * * * * * * * *

من كتاب/ مـقـالات بين منهجيـن

بقلم الشيخ..أبو قتادة الفلسطينى..حفظه الله

* *

قلنا في الحصّة قبل الفائتة أنّ جماعات الجهاد قامت على عُمُد كلّ عمود فيها كافٍ في جعل هذه الحركات واجبة الوجود والحدوث، وليعلم المسلمون أنّ الانضمام لهذه الجماعات ليس نافلةً من القول، وليس هو موسميّ الوقوع، بل هو واجب على كلّ مسلمٍ، أي واجب أن يعمل المسلم في عملٍ جهاديّ، إمّا أن يدعو إلى الجهاد أو يعدّ له، أو يعمل به، ولا ينفكّ هذا الوجوب إلاّ بدليل شرعيّ خاص، أي في كون الرّجل من أصحاب الأعذار، الذي عذرهم الشّرع الكريم، وقد تكلّمنا في حصّة فائتة أنّ أيّ فكرة في الوجود لا يمكن أن تُعمِل نفسها في الحياة إلاّ من خلال جماعة، إذ أنّ الجماعة هي اللبنة الأولى لأيّ عمل أو مهمّة.

والآن ما هي موجبات حركات الجهاد في العالم الإسلامي؟.

ونحن نقصد بحركات الجهاد هنا، وفي كلّ موطن، هي تلك الجماعات المجاهدة داخل دار الإسلام السّليبة، وليس خارجها، وهي الجماعات المجاهدة العاملة لإعادة رأس المال، وليس هذا إنكاراً لغيرها، ولكن حديثنا عن جهاد الدّفع، وهو جهاد واجب على كلّ مسلم. أمّا موجبات حركات الجهاد في ديار الرّدّة فهي:

1 - إعادة العقد الجامع لشتات المسلمين، أي دولة الخلافة الضّائعة: فلمّا سقطت الخلافة انفرط عقد الأمّة، فلم تعد تستحقّ

اسم الأمّة، نعم هناك مسلمون في أرض الشّتات، وهناك عبّاد وقوّام، وزوامل علم وحجّاج، وذاكرون وذاكرات، ولكنّ كلّ هؤلاء لا يدخلون أبداً في مسمّى الأمّة، فلا يوجد هناك أمّة إسلاميّة، لأنّ أوّل مقوّمات الأمّة لا توجد بين هذه الحبّات المتناثرة بلا ضابط، ولا حبل جامع، ونعني بها وجود الدّولة، فليس للمسلمين دولة ولا شوكة ممكّنة، ولا منعة حافظة، وقد بذل الكفر جهوداً متتالية في دفع دولة الخلافة وإسقاطها، كرَّ المرّة تلو المرة، حتّى كان له ما أراد، ولكن والحقّ يقال: إنّ العوامل الدّاخليّة في دار الإسلام، عوامل الهزيمة والانحطاط، هي السّبب الرّئيسيّ لإسقاط هذه الدّولة، فليس ما عمله الكفّار بمعادل ما عملته الأمّة بنفسها، فلو نظرنا نظرة فاحصة إلى صورة المجتمع الإسلاميّ في دار الإسلام قبل إزالتها، لوجدنا أنّ هذه الدّار كانت تفيض بعوامل الانحطاط والتّخلّف، ومن أهمّ هذه العوامل هو فساد التّصوّر العقديّ، إذ انتشرت في الأمّة جرثومة الصّوفيّة، هذه الصّوفيّة التي ما دخلت في أمّة من الأمم إلاّ جعلتها أثراً بعد عين، الصّوفيّة التي شغلت النّاس في الوصول إلى حالة العرفان والجذبة، فأرهقت المرء المسلم في سعيه لهذه الخيالات الجنونيّة، وعطّلت المسلم عن البحث والنّظر، لأنّ الصوفيّ يظنّ أنّه بمجرّد وصوله لهذه المرتبة سيدرك حقائق الأشياء، وسرّ الكون، فلا ضرورة إذن للسّعي والجدّ في اكتشاف سنن الكون والحياة، لأنّ الصّوفيّة تؤمن أنّه بمجرّد كون الرّجل وليّاً عارفاً فإنّه سيملك ناصية هذا الكون، فسيتحكّم في سننه من أمراض وظواهر كونيّة من ماءٍ ونار ومطر ورعد، وسيكون مالكاً لإكسير الحياة وسرّ الأشياء، وسيسيطر على حجر الكيمياء، هذا الحجر

الذي يستطيع مالكه أن يغيّر الأشياء وحقائقها، فبه ينقلب الحديد ذهبا، وبه تنقلب المياه جواهر ودرراً، فأفسدت النّظر إلى الكون والحياة، نعم انتشرت الصّوفيّة في الأمّة وتغلغلت فيها إلى الصّميم، ولا يقولنّ قائل: إنّ الصّوفيّة لم تكن شائعة، أو أنّها كانت محصورة في بعض جوانب الحياة، لا، فهذا خطأ شنيع، لأنّ الصّوفيّة كانوا هم قادة الحياة، وسادة المجتمعات الإسلاميّة، بل إنّ الصّوفيّة وإلى الآن هي التي تسيطر على عقول قادتنا ومشايخنا، فهذا سعيد حوّى يريد أن يعيد إحياء الأمّة عن طريق التّربية الصّوفيّة، فيؤلّف للنّاس كتاباً في هذه التّربية الرّوحيّة، ويدعو الشّباب إلى الدّخول في مدارس إحياء الرّبّانيّة، ويقصد بها السّلوك على يد مشايخ الصّوفيّة، بل إنّ أكثر القادة تحرّراً من القديم بكلّ ما فيه من خير وشرّ، لم نسمع منه كلمة واحدة، ولا رأينا له مشروعاً في تحطيم هذا المرض الخبيث، فهذا حسن التّرابيّ يعيش في مجتمع تغلغلت فيه الصّوفيّة إلى الصّميم، ومع ذلك لم نسمع منه كلمة واحدة نحوها، بل ولا اهتمّ من قريب أو بعيد بجوانب الشّرك التي تنتشر في مجتمعه.

إنّ البعد الدّاخليّ في الإنسان المسلم، وفي الجماعة المسلمة، ما لم يتحرّر من هذه المخلّفات النّتنة فلن نخطو الخطوة الصّحيحة إلى أهدافنا، وهذا يجعلنا نكرّر المرّة تلو المرّة أنّ جماعات الجهاد ليست هي تلك الجماعات التي تحمل السّلاح فقط، بل هي جماعات التّجديد لما اندرس من معالم هذا الدّين، وهي جماعات التّجديد أي إعادة صورة الإسلام إلى الحالة التي كان عليها وهو جديد في أوّل أمره.

إنّ طرح الجهاد كمشروع وحيد لإحياء الأمّة، لأنّ الجهاد هو الإطار الذي يحرّر المسلم من أهواء نفسه ومن مخلّفات مجتمعه، ومن انحرافات مذاهب البدع، لأنّ الجهاد هو الحامل لروح التّمرّد على كلّ ما هو فاسد في داخلنا، فالمجاهد اليوم لن يكون كذلك إلاّ بعد أن يتحرّر من سلطة الكهنوت القابعة على صدر الأمّة باسم العلم والعلماء، هذه السّلطة التي تضرب بسيف الدين كلّ من حاول أن يستخدم عقله الذي طال الزّمن عليه بالتّغيير والإقصاء، نعم هذا الكهنوت الذي لم يخرم غرزاً ممّا عند النّصارى برهبانهم واليهود بأحبارهم، إنّ هذا الصّنف من البشر وأقصد بهم طبقة الكهنوت هم من أرذل خلق الله، وهو الجدار الأوّل الذي يمنع المسلم من استعمال حقّه في استخدام عقله الذي كرّمه الله به، وهو الجدار الأوّل الذي يمنع المسلم من تحرّر إرادته في أن يتقدّم الخطوة الأولى نحو أهداف الإسلام الصّحيحة، نعم لو قدّر لرجل مسلم يحترم عقله أن يرى شيخ الأزهر وهو يتكلّم في إحدى محطّات التّلفزيون لأيقن أنّه لا نهضة لأمّتنا، ولا خروج من مأزقها حتّى ترفع شعار: اقتلوا آخر حاكم مرتدّ بأمعاء آخر قسّيس خبيث.

كان دور العالم دوما اكتشاف الخطأ مبكّراً قبل غيره، لأنّه الأقدر بما أوتي من موهبة ربّانيّة، وعطاء إلهيّ في أن يتقدّم الصّفوف في كلّ شيء صحيح، وكان دوره دوماً الرّائد الذي لا يكذب أهله في تضحيته بنفسه، ليكون وقوداً لشعلة الصّلاح في مجتمعاتنا، أمّا أن يكون دور العالم هو إسباغ الشّرعية على الفساد، وإطلاق عبارات الشّرع المدحيّة على الشّرّ والضّلال، فهذا تزوير وانحراف، وجريمة لا تعادلها جريمة، وهي أعظم جرماً من الاتّجار

بالمخدّرات، لأنّه يسوِّق الرّذائل تحت أسماء جميلة حسنة، وهذه الجريمة هي أوّل جريمة بدأها إبليس في التّاريخ الإنسانيّ حين سمّى شجرة المعصية شجرة الخلد وملك لا يبلى.

إنّ أمراض الأمّة المشتّتة بحاجة إلى جهود مضنية، وإلى قادة مخلصين، ليتمّ إحياء الأمّة على منهج صحيح صائب، لأنّنا نحن اليوم نعيش على مرقب عال، نرقب مستقبلاً يتناوشنا فيه العدوّ من جانب، هذا المستقبل الذي حاول فيه الأعداء أن يرسم معالمه ليكون حسب سياسته ومراده، وهو يملك أدوات التّطبيق، فـهو الذي يملك المال والقوّة، فعنده الآلة العسكريّة الرّهيبة، وعنده العديد من الاحتمالات التي يمكن أن يستعملها متى يريد، وفوق ذلك في أمّتنا التّربة الصّالحة لهذه الاحتمالات الكفريّة الخبيثة، أمّا عدّتنا نحن، فليس هناك من شيء سوى الحقّ إن جرّدناه عن شوائب الأفكار المنحرفة، وعلمناه على حقيقته كما هو من غير بدع الإرجاء والجبر، ومن غير هوى الآراء والأفكار، وعلينا أن نملك عقيدة الجهاد، وروح الجهاد، ونفس الجهاد، هذه العقيدة التي تهون أمامها الصّعاب، وتتصاغر في وجهها الجبال، هذه الرّوح التي تنطوي على حبّ الموت والرّغبة فيما عند الله، والتّرفّع عن الدّنايا والصّغائر، والزّهد في الدّنيا، هذا النّفس إن ملكناه أو تملّكناه كنّا أعاصير لا تبقي للكفر أثراً، ولا للظّلام وجوداً.

إنّ الواجب علينا أن نطلق لفظ الجهاد بين كلّ كلمة وكلمة، وندندن حوله في كلّ موقع، لتنقشع الظّلمات وتعود الأمّة إلى سابق عهدها، عزّاً ، وتمكيناً وريادة.

بعد أن تكلّمنا عن الموجب الأوّل لجماعات الجهاد، ألا وهو إقامة دولة الإسلام فالآن إلى الموجب الثّاني:

ومن عمد موجبات جماعات الجهاد في العالم الآن وللتّو هو: **فكّ العاني (الأسير)، ونصرة المظلوم، وردع الظّالم**:

المتمعّن لقصص الأنبياء في القرآن الكريم يجد للأنبياء عليهم السّلام قضيّة محوريّة يلتقون حولها جميعاً، ويدعون النّاس إليها، ألا وهي كلمة التّوحيد، ثمّ إنّنا نرى كذلك أنّ النّبيّ كان يأتي ويحمل قضيّة أو قضايا مهمّة مع التّوحيد، وكانت تشكّل هذه القضيّة الأخرى امتحاناً لموضوع الاستجابة لألوهيّة الله على عباده، فلوط عليه السّلام كان مع دعوته للتّوحيد داعياً إلى التّخلّص من الرّذائل الخلقيّة المعروفة مثل إتيان الذّكران والتّبارز بالضّراط في المجالس، وهي التي قال فيها الرّب سبحانه وتعالى: {**وتأتون في ناديكم المنكر**}، فهذه القضايا التّشريعيّة تشكّل الامتحان لمدى الاستجابة لكلمة التّوحيد، ولقضيّة تأليه ربّ العالمين.

وقد حدّثنا القرآن الكريم كثيراً عن **موسى عليه السّلام**، وتكرّرت أحاديث القرآن عن هذا النّبيّ العظيم، وهو من أولي العزم من الرّسل، وكانت قضيّة التّوحيد هي مدار دعوته، وحمل معها قضايا مهمّة أخرى، ومن أهمّ هذه القضايا التي نازع موسى عليه السّلام الأرباب الباطلة بها هي إخراج بني إسرائيل من حكم الطّاغية: قال تعالى: {**ثمّ بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا إلى فرعون وملئه فظلموا بها فانظر كيف كان عاقبة المفسدين، وقال موسى يا فرعون إنّي رسول من ربّ العالمين، حقيق على أن لا أقول على الله إلاّ الحقّ قد جئتكم ببيّنة من ربّكم فأرسل معي بني إسرائيل**} الأعراف.

وقال تعالى: {**اذهبا إلى فرعون إنّه طغى، فقولا له قولاً ليّناً لعلّه يتذكّر أو يخشى، قالا ربّنا إنّ نخاف أن يفرط علينا أو يطغى، قال لا تخافا إنّني معكما أسمع وأرى، فأتياه فقولا إنّا رسولا ربّك فأرسل معنا بني إسرائيل ولا تعذّبهم قد جئناك بآية من ربّك وسلام على من اتّبع الهدى**} طه.

ثمّ حكى الله تعالى هذه القضيّة في سورة الشّعراء آمراً موسى وهارون عليهما السّلام: {**فأتيا فرعون فقولا إنّا رسول ربّ العالمين، أن أرسل معنا بني إسرائيل**}.

فهذه قضيّة حكاها القرآن الكريم في ثلاثة مواطن، قضيّة إخراج بني إسرائيل المعذّبين من حكم فرعون الطّاغية، وهي كذلك ههنا في هذا العصر، قضيّة مهمّة، عظيمة القدر؛ قضيّة إخراج المساجين والأسرى والمعتقلين من سجون أهل الكفر والشّرك، ومن سجون المرتدّين.

والسّجن هو إحدى صور العذاب التي يمارسها الطّغاة ضدّ الموحّدين، قال تعالى على لسان فرعون: {**لئن اتّخذت إلهاً غيري لأجعلنّك من المسجونين**} الشّعراء، وقال تعالى: {**وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين**} الأنفال.

وههنا نكتة بديعة على الأنبياء، وهم أعظم النّاس قدراً وأرفعهم منزلة وأوثق النّاس بربّهم، هذا الفعل هو الهروب والتّخفّي، فموسى عليه السّلام خرج من مصر في أوّل الأمر {**خائفاً يترقّب**} ثمّ خرج ببني إسرائيل على وهدة من عيون فرعون وقومه، وكذلك خروج محمّد من مكّة متخفّياً خوفاً من قريش وبطشها، ولم يعتبر هذا الصّنيع قادحاً في حقّ هؤلاء الأنبياء، أو

بخادش رجولتهم وعصمتهم وعظمتهم، وأقول هذا الكلام تنبيهاً على ما سمعت أنّ بعض قادة الأحزاب الإسلاميّة الدّيمقراطيّة أنّه لمّا عرض عليه الهرب وقد حضر جند الطّاغوت للقبض عليه في مقرّ حزبه أنّه أنِف هذا الفعل، واعتبره خادشاً لشرعيّة وجوده، وقال: أنا رئيس حزب شرعيّ ولست لصّاً حتّى أهرب، ولعلّه كذلك أنِف وترفّع أن يتدلّى بحبل من مكتبه ليخرج من الشّبّاك حتّى لا يقبض عليه جند الطّاغوت، وهذه النّفسيّة هي مصيبة ولا شكّ، فهي تدلّ على أنّ قادة العمل الإسلاميّ الدّيمقراطيّ هم أبعد النّاس عن نفسيّة الرّجل المقاتِل، أو نفسيّة الرّجل الواعي لطبيعة الصّراع بين الحقّ والباطل.

فالسّجن أحد أساليب الطّغاة في ردع الدّعاة والمصلحين، والسّجون الآن تعجّ بكثرة الموحّدين فيها، وقد تبجّح الكفر الآن وعربد بما لم يكن له مثيل بيومٍ من الأيّام، فما هو السّبيل الشّرعيّ والكونيّ لردع هؤلاء المجرمين عن غيّهم؟! وما هو الطّريق الشّرعيّ والكونيّ لإخراج هؤلاء المساجين من معاقل الطّغاة؟ إنّه ولا شكّ الجهاد في سبيل الله تعالى.

وفكّ العاني واجب شرعيّ على المسلمين حيث وقع لقوله e: ((**فكّوا العاني وأطعموا الجائع، وعودوا المريض**)) رواه البخاريّ عن أبي موسى رضي الله عنه. قال **ابن حجّر**: قال **ابن البطّال**: فكاك الأسير واجب على الكفاية وبه قال الجمهور. ا. هـ. فتح الباري (193/6). ويقول عمر بن الخطّاب رضي الله عنه: (لئن أستنقذ رجلاً من أيدي الكافرين أحبّ إليّ من جزيرة العرب).

وروِيَ أنّ الحجّاج بن يوسف الثّقفي غضب على واليه في السّند غضباً شديداً، وذلك بسبب امرأة أسرت من المسلمين وأدخلت

إلى بلاد السّند فجهّز الجيوش المتواصلة، وأنفق بيوت الأموال حتّى استنقذ المرأة وردّها إلى أهلها ومدينتها. عن الموالاة والمعاداة (327/1).

وفكّ العاني المسلم هي صورة من صورة الولاء بين المسلم وأخيه المسلم.

وليعلم أنّ ما يعانيه المسلم السّجين هو شيء يفوق الوصف والخيال، حتّى أنهم قديماً كانوا يعدّون السّجين كأنّه منفيّ من الأرض، وأنّه خارج الحياة. يقول الشّاعر:

عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا؟ إذا جاءنا السّجّن يوماً لحاجة

والحضارة الشّيطانيّة المعاصرة ابتكرت من الأساليب الوحشيّة لتعذيب خصومها شيئاً يفوق الخيال، وليس سجين اليوم هو مجرّد رجل محبوس في جبّ فقط، مع أنّ مجرّد هذا الحبس هو عذاب شديد، ولكنّهم يمارسون على هذا السّجين ألوان العذاب وصنوف القهر ما الله به عليم، فإذا علمنا هذا تبيّن لنا الواجب الشّرعيّ الملقى على عاتق الأمّة في تخليص هؤلاء الأسارى، جاء في "القوانين" **لابن الجوزي**: يجب استنقاذهم (أي الأسارى) من يد الكفّار بالقتال، فإن عجز المسلمون عنه وجب عليهم الفداء بالمال. (ص172).

قال **ابن تيميّة** في الرّسالة الماتعة المسمّاة بـ "الرّسالة القبرصيّة"، يدعو فيها صاحب قبرص إلى الإحسان إلى أسارى المسلمين عنده، ويبيّن سعيه الجادّ في استخلاص أسارى المسلمين بل وأسارى أهل الذّمّة يوم ذاك، قال: وقد عرفت النّصارى كلّهم أنّي لمّا خاطبت التّتار في إطلاق الأسرى،

وأطلقهم قازان... فسمح بإطلاق المسلمين، ثمّ بيّن بعدها طلبه في إطلاق أسارى أهل الذّمّة.

هذه النّصوص وغيرها تبيّن مدى الواجب الملقى على المسلمين في إطلاق أسارى المعتقلين والمساجين من سجون المشركين والمرتدّين، ولقد بلغ عدد الموحّدين الذين نقم منهم الطّاغوت طهرهم وعفافهم وإيمانهم بالله تعالى الأعداد الكبيرة، ففي مصر لوحدها عدد المساجين من الجماعات المسلمة في سجون الطّاغوت المصريّ أكثر من خمسين ألف سجين، علاوة على أولئك الشّباب الذين ما يكاد الواحد منهم يخرج حتّى تدركه مسالحة (شرطة) الشّرك وتعيده مرّة أخرى، وههنا نقطة مهمّة، وهي أنّ المسلم المجاهد عليه أن يسعى إلى عدم تسليم نفسه إلى مسالحة المشركين الملاعين في بلادنا، بل عليه أن يسعى جهده أن يفرّ منهم وإلاّ فليقاتل حتّى يقتل، ووالله قد سعدت وفرحت أشدّ الفرح لهذه السّابقة العظيمة التي وقعت في الأردن من قبل الشّابّ المجاهد - نحسبه من الشّهداء ولا نزكّي على الله أحداً - محمود عبد الرّؤوف خليفة وشقيقه بشّار الذي أبى أن يسلّم نفسه لزوّار الفجر المشركين من المخابرات الأردنيّة اللعينة، بل قاومهم حتّى سقط شهيداً إن شاء الله، ووالله إنّ قتال هؤلاء المرتدّين أحبّ وأفضل من قتال اليهود، لأنّه لم يقع لليهود علينا سلطة، ولم يكن لهم علينا سبيل، إلاّ بحبل هؤلاء المرتدّين الزّنادقة، وهذه السّابقة التي وقعت في الأردن في عدم الرّضوخ لتسليم الشّباب المسلم أنفسهم للطّاغوت هي بشرى خير، وهو أنّ هؤلاء الشّباب أتقنوا المسألة، وقد مضت إن شاء الله تعالى تلك الأيّام التي كان الشّباب المسلم المجاهد في الأردن

يسلّم نفسه إلى المخابرات طوعاً واختياراً، ولعلّ الأهوال التي كان يراها المعتقلون من المسلمين في مبنى المخابرات العامّة هو الذي ردّ الفكرة إلى رؤوسهم: أنّ الموت أفضل بدرجات من أن يساق المسلم كالذّبيحة إلى مسلخه، وقد كان هؤلاء الزّنادقة المرتدّون يدخلون الشّباب المعتقل وهم يتهازجون أهازيج الفرح وكأنّهم في عرس (عليهم من الله اللعائن) لكنّها إن شاء الله بعد اليوم لن تكون زيارة الفجر رحلة سهلة لهم. هذا أملنا وفي الله رجاؤنا، وإنّ تكرار هذه العمليّة سيجعل الذين يفكّرون بالرّاتب الجيّد في العمل مع المخابرات محسوباً عليهم أنّ روحه ستكون ثمناً لهذا الرّاتب فها هو الدّم قد سال ومسيل الدّم علامة الفرج وفيه بشرى الإفاقة إن شاء الله. وللحديث بقيّة إن شاء الله تعالى.